تفسير ابن كثير

يقول تعالى مخبرا عن خليله إبراهيم حين جادله قومه فيما ذهب إليه من التوحيد وناظروه بشبه من القول أنه قال { أتحاجوني في ا وقد هدان } أي تجادلونني في أمر ا وأنه لا إله إلا هو وقد بصرني وهداني إلى الحق وأنا على بينة منه فكيف ألتفت إلى أقوالكم الفاسدة وشبهكم الباطلة وقوله { ولا أخاف ما تشركون به إلا أن يشاء ربي شيئا } أي ومن الدليل على بطلان قولكم فيما ذهبتم إليه أن هذه الالهة التي تعبدونها لا تؤثر شيئا وأنا لا أخافها ولا أباليها فإن كان لها كيد فكيدوني بها ولا تنظرون بل عاجلوني بذلك وقوله تعالى : { إلا أن يشاء ربي شيئا } استثناء منقطع أي لا يضر ولا ينفع إلا ا D { وسع ربي كل شيء علما } أي أحاط علمه بجميع الأشياء فلا يخفى عليه خافية { أفلا تتذكرون } أي فيما بينته لكم أفلا تعتبرون أن هذه الالهة باطلة فتنزجروا عن عبادتها وهذه الحجة نظير ما احتج بها نبي ا هود عليه السلام على قومه عاد فيما قص عنهم في كتابه حيث يقول { قالوا يا هود ما جئتنا ببينة وما نحن بتاركي آلهتنا عن قولك وما نحن لك بمؤمنين * إن نقول إلا اعتراك بعض آلهتنا بسوء قال إني أشهد ا واشهدوا أني بريء مما تشركون * من دونه فكيدوني جميعا ثم لا تنظرون * إني توكلت على ا ربي وربكم ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها } الاية وقوله { وكيف أخاف ما أشركتم } أي كيف أخاف من هذه الأصنام التي تعبدونها من دون ا { ولا تخافون أنكم أشركتم با ما لم ينزل به عليكم سلطانا } قال ابن عباس وغير واحد من السلف : أي حجة وهذا كقوله تعالى : { أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به ا } وقوله تعالى : { إن هي إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل ا بها من سلطان } وقوله { فأي الفريقين أحق بالأمن إن كنتم تعلمون } أي فأي طائفتين أصوب الذي عبد من بيده الضر والنفع أو الذي عبد من لا يضر ولا ينفع بلا دليل أيهما أحق بالأمن من عذاب ا يوم القيامة قال ا تعالى : { الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون } أي هؤلاء الذين أخلصوا العبادة وحده لا شريك له ولم يشركوا به شيئا هم الامنون يوم القيامة المهتدون في الدنيا والاخرة .

قال البخاري : حدثنا محمد بن بشار حدثنا ابن أبي عدي عن شعبة عن سليمان عن إبراهيم عن علقمة عن عبد ا قال : لما نزلت { ولم يلبسوا إيمانهم بظلم } قال أصحابه وأينا لم يظلم نفسه ؟ فنزلت { إن الشرك لظلم عظيم } وقال الإمام أحمد : حدثنا أبو معاوية حدثنا الأعمش عن إبراهيم عن علقمة عن عبد ا قال : لما نزلت هذه الاية { الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم } شق ذلك على الناس فقالوا : يا رسول ا أينا لم يظلم نفسه ؟ قال [إنه

ليس الذي تعنون ألم تسمعوا ما قال العبد الصالح { يا بني لا تشرك با إن الشرك لظلم عظيم } إنما هو الشرك .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا وكيع وابن إدريس عن الأعمش عن علقمة عن عبد ا قال : لما نزلت { ولم يلبسوا إيمانهم بظلم } شق ذلك على أصحاب رسول ا صلى ا عليه وسلّم قالوا : وأينا لم يظلم نفسه ؟ فقال رسول ا صلى ا عليه وسلّم] ليس كما تظنون إنما قال لابنه { يا بني لا تشرك با إن الشرك لظلم عظيم } وحدثنا عمر بن تغلب النمري حدثنا أبو أحمد حدثنا سفيان عن الأعمش عن إبراهيم عن علقمة عن عبد ا بن مسعود قال : لما نزلت هذه الاية شق ذلك على أصحاب رسول ا صلى ا عليه وسلّم فنزلت { إن الشرك لظلم عظيم } رواه البخاري وفي لفظ قالوا : أينا لم يظلم نفسه ؟ فقال النبي صلى ا عليه وسلّم [ليس بالذي تعنون ألم تسمعوا ما قال العبد الصالح { إن الشرك لظلم عظيم } إنما هو الشرك] ولابن أبي حاتم عن عبد ا مرفوعا قال { ولم يلبسوا إيمانهم بظلم } قال [بشرك] قال وروي عن أبي بكر الصديق وعمر وأبي بن كعب وسلمان وحذيفة وابن عباس وابن عمر وعمرو بن شرحبيل وأبي عبد الرحمن السلمي ومجاهد وعكرمة والنخعي والضحاك وقتادة والسدي وغير واحد نحو ذلك وقال ابن مردويه : حدثنا الشافعي حدثنا محمد بن شداد المسمعي حدثنا أبو عاصم حدثنا سفيان الثوري عن الأعمش عن إبراهيم عن علقمة عن عبد ا قال : لما نزلت { الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم } قال رسول ا صلى ا عليه وسلّم [قيل لي أنت منهم] وقال الإمام أحمد : حدثنا إسحاق بن يوسف حدثنا أبو جناب عن زاذان عن جرير بن عبد ا قال : [خرجنا مع رسول ا صلى ا عليه وسلّم فلما برزنا من المدينة إذا راكب يوضع نحونا فقال رسول ا صلى ا عليه وسلّم كأن هذا الراكب إياكم يريد فانتهى إلينا الرجل فسلم فرددنا عليه فقال له النبي صلى ا عليه وسلّم من أين أقبلت ؟ قال من أهلي وولدي وعشيرتي قال : فأين تريد ؟ قال : أريد رسول ا صلى ا عليه وسلّم قال فقد أصبته قال : يا رسول ا علمني ما الإيمان ؟ قال : أن تشهد أن لا إله إلا ا وأن محمدا رسول ا وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت قال : قد أقررت قال ثم إن بعيره دخلت يده في جحر جرذان فهوى بعيره وهوى الرجل فوقع على هامته فمات فقال رسول ا صلى ا عليه وسلّم علي بالرجل فوثب إليه عمار بن ياسر وحذيفة بن اليمان فأقعداه فقالا : يا رسول ا قبض الرجل قال فأعرض عنهما رسول ا صلى ا عليه وسلّم ثم قال لهما رسول ا صلى ا عليه وسلّم أما رأيتما إعراضي عن الرجل فإني رأيت ملكين يدسان في فيه من ثمار الجنة فعلمت أنه مات جائعا ثم قال رسول ا صلى ا عليه وسلّم هذا من الذين قال ا D فيهم { الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم } الاية ثم قال دونكم أخاكم فاحتملناه إلى الماء فغسلناه وحنطناه وكفناه وحملناه إلى القبر فجاء رسول ا صلى ا عليه وسلّم حتى جلس على

شفير القبر فقال ألحدوا ولا تشقوا فإن اللحد لنا والشق لغيرنا] ثم رواه أحمد عن أسود بن عامر عن عبد الحميد بن جعفر الفراء عن ثابت عن زاذان عن جرير بن عبد ا فذكر نحوه وقال فيه : هذا ممن عمل قليلا وأجر كثيرا وقال ابن أبي حاتم : حدثنا يوسف بن موسى القطان حدثنا مهران بن أبي عمر حدثنا علي بن عبد ا عن أبيه عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : كنا مع رسول ا A في مسير ساره إذ عرض له أعرابي فقال : يا رسول ا والذي بعثك بالحق لقد خرجت من بلادي وتلادي ومالي لأهتدي بهداك وآخذ من قولك وما بلغتك حتى ما لي طعام إلا من خضر الأرض فاعرض علي فعرض عليه رسول ا A فقبل فازدحمنا حوله فدخل خف بكره في بيت جرذان فتردى الأعرابي فانكسرت عنقه فقال رسول ا A [صدق والذي بعثني بالحق لقد خرج من بلاده وتلاده وماله ليهتدي بهداي ويأخذ من قولي وما بلغني حتى ماله طعام إلا من خضر الأرض أسمعتم بالذي عمل قليلا وأجر كثيرا ؟ هذا منهم أسمعتم بالذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون ؟ فإن هذا منهم] وفي لفظ قال [هذا عمل قليلا وأجر كثيرا] وروى ابن مردويه من حديث محمد بن يعلى الكوفي وكان نزل الري حدثنا زياد بن خيثمة عن أبي داود عن عبد ا بن سخبرة قال : قال رسول ا A [من أعطي فشكر ومنع فصبر وظلم فاستغفر وظلم فغفر] وسكت قال : فقالوا يا رسول ا ما له ؟ قال { أولئك لهم الأمن وهم مهتدون } وقوله { وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه } أي وجهنا حجته عليهم قال مجاهد وغيره : يعني بذلك قوله { وكيف أخاف ما أشركتم ولا تخافون أنكم أشركتم با ما لم ينزل به عليكم سلطانا فأي الفريقين أحق بالأمن } الاية وقد صدقه ا وحكم له بالأمن والهداية فقال { الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون } ثم قال بعد ذلك كله { وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء } قرىء بالإضافة وبلا إضافة كما في سورة يوسف وكلاهما قريب في المعنى وقوله { إن ربك حكيم عليم } أي حكيم في أقواله وأفعاله عليم أي بمن يهديه ومن يضله وإن قامت عليه الحجج والبراهين كما قال { إن الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون * ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الأليم } ولهذا قال ههنا { إن ربك حكيم عليم }